الشعر والتاريخ

الدكتور عادل جاسم محمد
قسم اللغة العربية

ان اقدم معالجه لهذه المشكلة المزمنة في حياة الفكر على امتداد الوجود الانساني ، كانت على يد (ارسطو) في كتابه عن الشعر ، وذلك عندما عقد فصلا خاصا يتعلق بقضية الشعر والتاريخ ، فأطلق على الاخير لفظ : الواقعي ، وعلى الملحمة لفظ : المحتمل . ثم وضع الى جانب « الملحمة » كلمة « الشعر » كرديف لها ، كما فعل مع الواقعي عندما وضع لها كلمة « التاريخ » معتبرا أياها مرادفا لها ايضا . وقد اوحى الينا هذا النظام ، عبر قرون عديدة بالعنوان الذي يتوج هذه المقالة على ان عنوان الفصل المذكور في كتاب ارسطو ، جاء على هذه الصورة:

الواقعي والمحتمل ـ التاريخ والملحمة (والشعر)[1] فوضح بذلك ان المقصود بالواقعي هو التاريخ ، وبالمحتمل هي الملحمة . وان ارسطو عندما وضع كلمة « الشعر » الى جوار الملحمة ، انما اراد اتصالهما ، حتى انه جعلهما كالشيء الواحد . وكان قد قرر في اول فصول الكتاب، بأن الشاعر لا يعد شاعرا لمجرد انه يستخدم الاوزان ، ثم ضرب الامثلة من ناظمي النظريات الطبية والطبيعة ، ومضى في تعميق قاع نظريته ، فعد قسما من الناثرين شعراء ، برغم انهم لم تنتظم لغتهم أوزان[2] وهي حقيقة افضت بنا الى رفض كثير من المنظومات التاريخية ، فلم ندخلها في عداد الملاحم بل مكثت في غاية أبعادها ضربا من الشعر التعريني لحفظ التاريخ ، ومثلنا لها بمنظومة ابن عبد ربه[3] (٥٥٠ بيتا)

وقصيدة ابي طالب ابن عبدالجبار[٤] . وجرى على ذلك من عد مقامات الهمداني والحريري من الملاحم ، وملحمة أخرى نثرية سبق في وضعها ملحمة دانتي والفردوس لملتن الشاعر الانكليزي ، تلك هي رسالة الغفران لابي العلاء المعري . وهو نفس المبدأ الذي بموجبه نظرنا الى النثر الذي تتحلى به ملاحم « الايام » العربية خلال قصائدها وهو وهو يؤدي نفس المهمة الشعرية فاعتبرناه جزءا لاينفصل عن الشعر الوارد في اقاصيص الايام ، لانه يرقى بمقاييسه الاستطيقية الى مستوى الشعر لانزاع .

فالمنظومات التاريخية ، وان كانت موزونة ، لا تدخل في الشعر ولا الملاحم ، لكن نثر « الايام » برغم ابتعاده عن القوالب الشعرية المألوفة، يدخل في الشعر مثل أي اجزاء اساسية في لغة الايام ، ولا يبتعد عن الصيغة الملحمية المألوفة . لان مهمة الشاعر الحقيقية ـ كما يضيف ارسطو هنا ـ ليست في رواية الامور كما وقعت فعلا ، بل رواية ما يمكن ان يقع . « والاشياء ممكنة : اما بحسب الاحتمال او بحسب الضرورة ، ذلك ان المؤرخ والشاعر لا يختلفان في كون احدهما يروى الاحداث شعرا ، والاخر يرويها نثرا . فقد كان يمكن تأليف تاريخ هيردوتس نظما ، ولكنه كان سيظل تاريخا ، سواء كتب نظما او نثرا .

وانما يتميزا من كون احدهما يروى الاحداث التي وقعت فعلا ، بينما الاخر يروى الاحداث التي يمكن ان تقع . ولهذا كان الشعر اوفر حظا من الفلسفه ، وأسمى مقاما من التاريخ ، لان الشعر بالاحرى يروى الكلي ، بينما التاريخ يروي الجزئي »[٥] . واذن نكون مخطئين اذا نحن توهمنا بأن الايام الجاهلية يمكن ان تؤدي مهمة تاريخية بحتة ، كما فعل الطبري وابن الاثير ، لان هذه المهمة غير موجودة أصلا في

الملاحم . فليست هي تاريخا بالمعنى العلمي كما انها ليست وثائق وبيانات رسمية لامم وملوك ، بل هي في حقيقتها رؤى لظواهر مضت واستقرت ذكرياتها في وجدان الامة اسطورة حية ، تتوالد وتتكاثر ، وتطلعات لمكن ، يقع دائما . ولينظر احدنا الى الالياذة كيف تكررت في وجدان الامة اليونانية ، مع ان الحدث التاريخي فيها قد تحول الى آثار ومحنطات في متاحف طروادة وأثينا .

والملحمة لا تقف وقوف الوثيقة التاريخية ، ولا تنتهي عند حدود في زمان او مكان معينين ، بل تفسير دائم لعمليات كبرى تجرى داخل الكون والطبيعة والمجتمعات البشرية . واما التاريخ ، فانه « لا يفسر الظاهرات الاجتماعية وانما يبين اصولها فقط ، ولا يمكن ان يعتبر هذا تفسيرا بالمعنى المفهوم »[٦] . وان الملحمة استبطان Introspection) للظاهرة في مولدها ، واستطلاع لمستقبلها . وهي على تعبير « كروتشه » شأنها في ذلك شأن الادراك الفطري الذي يسبق تمييز الحقيقي من اللاحقيقي . « لان الشعر ينبغي ان يكون وفيا لا لحقائق جزئية ، بل للطبيعة العامة لعالمنا ، ومن ثم كان اكثر فلسفة من التاريخ »[٧] .

فالتاريخ ــ على ما قدر ارسطو ــ هو الخبر الذي يروي الاحداث دون تحليل الفكر المحرك لها ، او دون نظر فلسفي لما وراء هذه الاحداث ، وما يمكن ان تكون عليه . فتاريخ ابن الاثير ، بل حتى الطبري قبله ، لا يمكن ان يقاس بما كتب ابن خلدون في المقدمة التي رسمت لنا نواميس ذلك التاريخ .

وهكذا سما ارسطو بالشعر عندما خصه بالكليات ، لان الكلي بهذا المعنى اسمى من الجزئي ويمكن ملاحظة هذه الظاهرة من طبيعة الشخوص الذين يدخلون في ملاحم « الايام » العربية ، ولنأخذ من

يوم « ذي قار » مثلا ، عندما نقل المؤرخون خبره كوقعة مشهورة ، ودخل الادب العربي كملحمة من ملاحم الايام ، اخترقت سجف الماضي السحيق ، ابتداء بتأسيس الحيرة ، وظهور العباديين ـ رهط عدي بن زيد الشاعر الجاهلي ـ ومرورا بملوكها اللخميين حتى مقتل النعمان بن المنذر ، وانتهاء بالسيطرة الفارسية التي اعقبها سقوط الحيرة ، فأعقب هزائم الفرس ، ثم ظلت الملحمة في عطائها ، تفتح ابوابا لمستقبل عربي مثمر في المنطقة ، حيث سطع اول خيط من نور ، مبعثه البشائر الاولى لعهد ديني جديد ضمن مراحل التطور ، ثم التأمل الفلسفي في الوجود .

ان الاديب قد يتخذ من الشخوص العديدة ، شخصية او شخصتين ، وربما اكثر لها أساس في الواقع التاريخي ، وان كانت جوانبها ترتسم في الملاحم الشعرية بلا حدود ، بل يضاف اليها ، مثل شخصية جلجامش[٨] ، عشرات الذكريات الشعبية لعشرات الابطال . لكن تصبح الشخصية المكثفة مركز اشعاع لانماط سلوكية صادرة من نماذج بشرية متنوعة . واما مئات الشخوص التي تصنع وحدة الحدث او الفعل داخل الملحمة[٩] ، فقد لا يقر بحقيقتهم عالم التاريخ ، وهي عنده شخوص مخترعة ، واكثر من ذلك ، قد تكون الشخوص ، بالنسبة الى مكان وجودها غاية المستحيل .

ثم سرعان ما تعود لدى الشاعر ممكنة جدا . فالباحث التاريخي يقتنع من الاحداث ببضعة اشخاص ، تحدد معالم وجودهم وملامح شخصياتهم تحديدا صارما ، وهو تفسير الكلي والجزئي الذي خصه ارسطو بكثير من العناية في بحثه .

وان اختيار ارسطو للعلوم التاريخية والطبيعية ـ وحتى الطبية ـ كمقارنة للشعر ، اختيار نموذجي ، فالعلوم التاريخية ، فيما نعرف ،

تتميز عن العلوم الطبيعة في ان الثانية تملك اداتين من أدوات البحث ، وهاتان الاداتان هما الملاحظة والتجربة ، اما العلوم التاريخية فتتاح لها فحسب ، اداة الملاحظة التي تتخذ اسلوب دراسة الوثائق . والدراسة التاريخية ـ اذن ـ تعني تقييم الوثائق والافادة منها ، على قدر ما تعرف من وقائع التاريخ ، وترتيبها تريبا زمنيا . ذلك ما بسطه سافيني والاخوان « جريم » في بداية القرن الماضي لجوهر منهج البحث التاريخي ، وهم بصدد الدراسة الموضوعية لعلم الفلكور الذي تعرض من هذه الناحية ، اكثر ما تعرض ، لانتقاد المؤرخين . فمن الجلي الواضح ، ان الجانب الاوفى من الوثائق التي جمعها علماء الفلكور واستخدموها ، لا تزعم لنفسها تاريخا عريقا ومطردا[١٠] .

ولنقرب هذه الجزئية التي اكد عليها الباحثون في الادب والفن ، بمثال آخر ، خارج اطار « الايام » لكي يلتقي بها في الاختصاص ، اضافة لما ذكرناه عن يوم « ذي قار » : فلقد ابدى سانت جيروم ، ملاحظة عابرة في بعض كتاباته فقال : « ان لغة الغلاطيين في آسيا الصغرى ، تشبه الى حد بعيد لغات موجودة في بلاد الغال . من هذه العبارات انتهى محترفو كتابة التاريخ الى القول بأن اللغات السلتية كانت مستخدمة اثناء القرن الرابع الميلادي في اسيا الصغرى وبلاد الغال . والذي حدث اذن ، هو ان سانت جيروم ، كان ينقل مجرد نقل عن كتابات التواريخ القديمة المفقودة لفارو ، وكان فارو بدوره قد استقى الواقعة ، موضوع المناقشة ، من كتابات يوزيد ونيوس ، وهو من كتاب القرن الاول قبل الميلاد .

وهكذا فالتاريخ الحقيقي للوثيقة ، يسبق تاريخها الرسمي بخمسة قرون[١١] .

والى هنا ، لا يوجد خلاف ظاهر بين المنهجين ، غير ان ثمة اشياء جديرة بأن تقال في هذا الموضوع . فميدان التاريخ ـ باعتباره علما وثائقيا ـ ينتهي بانتهاء الوثيقة نفسها ، فاذا طبقنا هذه القاعدة تطبيقا شاملا ، لقصر التاريخ ايما قصور عن ان يؤدي رسالته ، ونعني به بناء التاريخ الظاهري او السياسي للانسان . وحيث لا توجد وثائق ، يكون من حق المؤرخ ـ وهذا حقه لانزاع فيه ـ ان يستنبط شتى النتائج من الاستدلالات اللغوية ، او مدلولات الحفائر الاثرية ، ويزيد عدد هذه النتائج الاستدلالية اذا انتقلنا من التاريخ السياسي الى التاريخ الاجتماعي والاقتصادي ، حيث تتزايد ندرة الوثائق ذلك ان واضعي التقاويم التاريخية القديمة المحترفين ، قد استغرقوا ، لسبب من الاسباب ، فيما يقع من تقلبات واحداث ظاهرية ملموسة ، على مسرح الحياة الكبير[١٢] . فالنتيجة الاخرى التي حصلنا عليها ، لم تنحصر في « الجزئي » الذي ذكره ارسطو ، بل في القصور الذي صوره لنا سانت جيروم[١٣] . لذلك اكد رونالد نكلسن[١٤] ، على ضرورة نبذ الفكرة المسيئة الى « الاسطورة والخرافة » عندما اعتبرتا مصدر افساد للادب العربي القديم ، ودعا الى ضرورة دراسة هذا الادب من خلال الاسطورة والخرافة ، ما دامتا قد مكنتا في معتقد شبه الجزيرة حقيقية ترسم لهم طريق حياتهم وتفتح آفاق مستقبلهم ، مثل أية ايدلوجية تدخل في وعي الامة دون اعتراض ، وموقف تفسيري للانسان لمواجهة انواع التحديات المحفزة ضد وجوده على ظهر هذا الكوكب .

ولقد اعطت هذه الدراسات ، النتائج العلمية والواقعية على مدى التطبيق العلمي ، والملاحظة النظرية على حد سواء ، بل ان الافتراض الذي يعم العالم ، حول دراسة علم التاريخ ، من كونه يخدم في نشر

روح التسامح في الشؤون البشرية ، برغم ان عددا من اساتذة التاريخ الحديث لم يبرهنوا على صحة وواقعية هذا الافتراض[١٥] ، ان هـو الا نتيجة زخم قوي للتيارات الادبية والفنية الجديدة ، وللنظريـات الفلسفية والسياسية الحديثة ، في هذا الحقل .

ان الاشخاص الذين تذكرهم « الملاحم » بأسمائهم ، هـم في حقيقتهم لا ينتمون الى افراد جزئيين لهم امتداد لوجود مادي محدود ، بل انها اسماء كلية ، تعبر عن نماذج انسانية ، او رموز لا تصلح لغير الشعر ، فهي في التاريخ ، الواقع الممكن او الصدى لما وقع ، في حين ان الممكن الشعري ، هو الممكن مطلقا ، او عند كورني ، نقلا عن ملاحظة هاردي ، مبسوط على هذا الوجه : « ان الحقيقة التاريخية ذريعة لاضفاء طابع الاحتمال على الاحداث الجارية ... »[١٦] .

ولما لم يكن هناك تاريخ ولا تدوين فقد كان الشعر مستودع احلامهم في العودة الى الماضي وربطه بالمعاصرة واستشراف المستقبل ، وهي حالة كائنة ومستمرة في وجدان كل أمة ، لانه اذا كان الفرد في المجتمع الانساني يعيش لحظات العمر في اتصال سريع مذهل مستعينا بغنى تجربة اللحظة الماضية المخزونة في أعماق ذاكرته باللحظة القادمة التي تتحفز لها نفسه ، فيتم هذا الارتباط السريع تلقائيا ومن غير أفتعال ، فأحرى بالمجتمع البشري الموزع جغرافيا في جماعات أن يحقق لنفسه هذا الاتصال المستمر ولكن مصلحة الجماعة الانسانية غير مصلحة الفرد ، ففي هذه الحالة تفنى الذاتية وتندمج (الانا) متحولة من الجزئي الى الكلي في حركة جدلية ، وفاعلية ديناميكية وفق نظام كوني متطور دائما ، يسعى نحو هدف يحقق فيه لنفسه وحدة اندماجية انسانية على مدى بعيد غير منظور ولا متوقع ، لان خارطة التوزيع

بجغرافي ملبس ، وان اصطنعت لنفسها الحدود والحواجز ، ساعية أبدا الى مثل هذا الربط الذاتي للحظات الانسانية ، ومثله للجماعة البشرية ، يظهر تأثيره عند ملاحظة تحقيق المنجزات الانسانية المشتركة ، ويلوح أثره في بلوغ وسائل الحضارة[١٧] المتشابهة لدى جميع الناس . فكانت مهمة التاريخ خزن الحقائق في صورتها الكلية ، ومهمة الشعر استنطاقها في صورتها الجزئية .. ربما بما لا يناسب واقعها ، فقد ترد الحقيقة التاريخية مغايرة لاصلها ، أو مكبرة الف مرة على ما هي عليه ، أو ربما ذوبت فليس لها أثر في الوجود الانساني لتلك الجماعة . وبعبارة ثانية يمكن أن نقول : اذا كان التاريخ ارادة ، فالشعر هو الطموح الحالم الذي يسعى دائما لتجسيد هذه الارادة ، على أن التاريخ لا يلتقي مع الشعر أبدا ولا يحل أحدهما في الاخر مطلقا فيوم ذي قار الذي تحول لدى العربي الى أنشودة قومية ، لا أثر له في الوجود البشري الفارسي ولا في تراثهم ، وهذا أمر طبيعي ، فكثير من الهزائم تحتجب عن بصر الامة ، وتتوارى عن بصيرتها . وقد تتغنى الامة بهزيمة على أنها نصر ، لانها خاضت المعركة بمفهوم وقضية وخرجت بعدها بمفهوم آخر وقضية جديدة ، فخسرت حربا (مالا ورجالا) وربحت مفهوما وقضية .

وقبل أن تتحول الحقيقة التاريخية لدى المؤرخ الى حدوث مروي أو مدون ، كانت في وجدان الشاعر المعبر عن شعبه أحساسا دفينا وحوارا غامضا ، ثم تولد اللحظة التاريخية وسط آلاف العوامل والمؤثرات ، لكنها تظل دون الطموح ودون التصور ، لان منطق الوقائع وفرضيات الممكن المتيسر هو الذي يدخل عنصرا حاسما في آخر لحظة ولادة . فينقل الاحساس نفسه والحوار نفسه وتصورات

الطموح لولادة جديدة اكثر تطورا وخصوبة ، ويظل الشعر حافزا حيا ، ويظل التاريخ أداة الشعر في بلوغ الاهداف • ولنضرب مثلا من طبيعة البطل ومكوناته الثقافية والحضارية Culture وشـــرائحه الاجتماعية في أدبنا العربي ، سواء أكان هذا البطل اسطوريا كلاسيكيا أو روماتيكيا أو ماديا واقعيا • فلم يكن جلجامش مثلا Gilgamesh الا ملكا أبوه كاهن مدينة الوركاء[١٨] لكن جلجامش الملحمة الشعرية وجلجامش الاسطورة صيغة أوجدها ائتلاف جملة عوامل بيئية نبعت من قلب (اوروك) التاريخية وتطلعات أهلها نحو الخلاص ••• وظل طموح العراقيين الى خلاص اكبر على يد منقذ او مخلص فتحول جلجامش الى مجموعة (ذكريات شعبية)[١٩] حافظت على جوهرها الملاحم الشعرية ، يصعب على المؤرخ أن يستخرج من محتواها حقيقة وثائقية ثابتة ، بل هي في تقديره شخصيات مخترعة يقف منها موقف الفاحص المدقـق ، يجهد نفسه وفكره ليسترشد بها في الوصول الى وثيقة • ويمثل «سيف ابن ذي يزن » قمة الطموح القومي ضمن اطار المجتمع الانساني العربي الذي استحال بحكم الظروف الموضوعية وتطور الاحداث في المنطقـة الى بطل قومي ثم اسطوري ، ونقطة اشعاع مضيئة في بلاد العرب نحو التحرير القومي من قبضة الاجنبي ، وان كان سيف قد وجد نفسه بعد طرد الغزاة الفرس بمعونة الاحباش أنه استبدل سيدا بسيد[٢٠] ، فبدأ رحلة نضال شاقة وطويلة •• ظل صداها يتردد في أرض العروبة ، فكانت أحلام الجماهير العربية تنمو وتتعاظم حول نواة جديدة تمثل رؤيـــا جديدة للعالم ، اصبح عنترة بن شداد بمقتضاها هـــو المرشح لدور البطولة في هذه المرحلة • واذا تأرجح عنترة بين التاريخ والاسطورة ، فأنه بذلك يعطي التفسير العلمي لوظيفة التاريخ ، والمدلول الشعري لما

يحتمل أنه واقع او سيقع أو لما كان محتملا أن سيقع[٢١] . وقد تكون جزئيات الحياة اليومية ليست بذات صيغة معطية لرجل التاريخ ، لكنها تدخل في الملحمة الشعرية خامة اساسية لصوغ الحدث وقد لا تكون هي المرجوة من وراء طرحها واستطراد روايتها ، لكن ماذا يفعل مخترع الملحمة وواضعها الاول ، انه يجمع مواد صنعته من ميدان عمله لانه ليس أدل على دراسة البيئة من اشيائها . لكن جامع الملحمة قد لا يجد ضرورة في سرد كل الاحداث ووصف الموجودات بل يكتفي بما يفي بالغرض ، فهو ربما يحذف أو ربما يبالغ في التضخيم والتعظيم وقد يبالغ في التحقير والتقليل بحسب مقتضيات العصر الذي تدخل فيه الملحمة .

والمهم ابقاء الرمز الموحي للاصل ثم اسقاطه على العصر وديمومته لكل العصور . وهنا نقف عند مفترق طرق : بين عمل الشاعر والمؤرخ والانثروبولوجي . فما لا يحتاجه الشاعر ويرميه بعيدا عنه ، قد يأخذ الانثروبولوجي وما ينحيه هذا الاخير عنه قد يحتاج اليه المؤرخ . على أن الانثروبولوجي والمؤرخ قد يقفان موقف الفاحص والمدقق لاسباب تتعلق بطبيعة منهجهما العلمي ، في حين لو صنع الشاعر مثل صنيعهما لخرج من طبيعة مهمته ولكان مقصرا في اتمام جوانب صورته الشعرية بكل ابعادها، واذا لم يجمع المؤلف مادة ملاحمه من أشياء البيئة وموجوداتها التي تفرز الاحداث ، فأن اية محاولة أخرى للجمع ستغدو ضربا من الميتافيزيقيا .

حقا ان مساهمة الكون والطبيعة والاحياء الموجودين على وجه الارض في خلق الاحداث يعد اغراقا في الخيال الا ان تشخيص او (أنسنة) هذه الخلائق يقربها من الواقع البشري . وهذا هو التفسير

الدقيق لقضية « الجزئي » التي أشار اليها أرسطو • والذي يقرب المسألة اكثر ، أننا لو نظرنا الى قضية العرب في فلسطين ، وجدناها في رأي التاريخ أو المؤرخ اكبر تراجيديا يخوضها العربي ضد اعداء عالميين متعاونين في الشرق والغرب ، يعملون على ادامة الاغتصاب والعدوان ، لكنها في نظر الشعر قضية تتألف يوميا من مئات التراجيديات الصغيرة، تتحد مع بعضها لتأخذ شكل الدراما الكبيرة التي لا يرى المؤرخ منها الا رؤية اجمالية لا ترقى الى رؤيا الشاعر التفصيلية ومع ذلك فهنالك فرق • ان المؤرخ لكي يدون هذه التراجيديا التاريخية محتاج الى اشرطة وتسجيلات ووثائق ومستندات وشهود والى عينة من المقاتلين والقادة لكي يقول كلمته في حرب « السويس » أو « العبور » او « الدفرسوار » أو هزائم حزيران ، ولا يتكلف الشاعر الا الاستعانة بوجدان الامة الذي هو وجدانه لكي يقول في حرب تشرين ما يخالف كل المخالفة لما سيقوله المؤرخ في هذه الحرب • ان شعر « نزار قباني » مثلا لا يعطي المدلول المادي لهذه الحرب كما يعطيها مؤرخ امريكي يستعين بصحفي يساهم في هذه الحرب وما تخرجه منظمة اليونسكو والامم المتحدة والجامعة العربية وتصريحات العسكريين ، وما سيقوله شاعر صهيوني سوف يقف على الضفة الاخرى من معطيات الشاعر العربي ، بينما يسير التاريخ في طريق ثالث • يقول كاتب معاصر(٢٢) : « ونادرا ما يحتفظ التاريخ بتفصيلات كافية عن المآسي الكبرى التي تقع ابان حركته اللاهثة ، فما يحدث غالبا أن تطرح تلك النكبات نفسها من خلال ما هو عام وبالغ التجريد ، ذلك أن التاريخ أضيق من ان يقف طويلا أمام ما هو جزئي وصغير ومباشر ويومي ، لذلك يمر ببرود على ملايين التفصيلات المفجعة ، على الاحزان التي لا توصف ، والآلام

التي لا تحد ، يصهرها في بوتقة الهموم الكلية ، وتتركز الكلمات في صفحاته لتصبح ايماءات في الذاكرة ... »

ومن منطلقات النظرية العربية الثورية يحدد الكاتب نفسه وجهة النظر السياسية للثوريين فيقول : « واذا كان العمل السياسي النضالي في سبيل أية قضية ينطلق اساسا من « الوعي الثوري » بها ، فأن هذا يعطي التجريد مشروعيته ، فالثوار لا يملكون ترف التوقف امام التفصيلات الصغيرة ، فكل ما هو جزئي يندمج ويتوحد في شعارهم السياسي الذي يقاتلون من أجله ، انهم مهمومون بالمسائل العليا والكلية ، لا يتوقف امام الهموم البشرية اليومية ، لانهم يوقنون ـ هذا صحيح تماما ـ ان تلك الاحزان الصغيرة لا تنفي بالخضوع لها نفسيا ، ولا بعد بالتوقف امامها والانشغال بها . في الانتصار في المعركة الأم ، هزيمة لكل الالام التي لاتحد ، ولكل الاحزان التي لا توصف .. »

وأما في حدود الالتزام بالادب والفن « فأن كثيرين في وطننا العربي ، يطمحون أن تلهم مآسيه ونكباته فنانيه وادباءه فنا يتجاوز الخطابة والدعائية ، لا ينطلق من ذهنية تصمم وتخطط ، ولكن من حس مباشر ينفذ الى أغوار النفس الانسانية ، يستكنه شرها المطوى ، ويشرح عالمها الداخلي الذي هو بالضرورة محصلة تفاعل مع كل معطيات العالم الخارجي ، ولعل عدم القدرة على ذلك بالشكل الكافي ، تعود ، من بين ما تعود ، الى برودة التاريخ المدون تجاه العديد من التفصيلات التي يمكن أن تكون الهاما للفن والادب ، وبرودة الثوريين المبرر ، تجاه الواقع الجزئي ، سواء عندما يدونون أو يمارسون .. »

ولكن الكاتب يقرر بعد هذا التجاوز فيقول « وربما يأتي وقت يكون التوقف امام تلك الجزئيات الفاجعة في مآسي التاريخ الكبرى

ممكنا ، يوم تنتصر الثورة « الثورة العربية والقضية الفلسطينية »[٢٣] فتصبح الام المخاض ذكريات يحن اليها الناس ، وتشحذ فيهم القدرة على تطوير الثورة والحرص عليها ، لكن ذلك لا يعني أن هذه الفواجع الصغيرة ، ينبغي أن تنتظر الانتصار النهائي ، لتنشر أو تحقق او تكون محل بحث فلبعضها دلالاته العامة والجوهرية . فاذا كان صحيحا ان المفاهيم العامة تتكون من الجزئيات الصغيرة ، فان تلك الجزئيات لا تفقد لدى عقلية تحليلية قدرتها على طرح كل ما هو عام وكلي . وهي الى هذا تطرح واقعا حيا ونابضا من خلال تفصيلاته الصغيرة والحسية والمباشرة،فتشكل بهذا المعنى الهاما ثرا لفن الثورة وادابها من خلال تفاعل نفسي بين هموم الانسان الفرد الغارق في ذاته ، وهموم الاخرين التي تتعادل مع همومه ، وتشكل تنويعا آخر على مأساة واحدة تنشد التمرد عليها والتصدي لها والثورة التي تنسف كل ما يسببها .. »

ولعل أحدث ما أمدتنا به البحوث العلمية ، هي تلك النتائج المنطقية الجديدة التي قدمت الاسلوب الجديد في البحث عن الحقائق الكلية موضوعة في خطوات ثلاث[٢٤] ، تنظر الاولى الى الحقائق الجزئية للوصول الى طبيعة العلاقة والى ربط المعلومات لتنسيقها وتنظيمها . وتنظر الخطوة الثانية الى عملية بناء لحقائق عامة تعبر عن علاقات الحقائق الجزئية ، والحقائق الاولى أقل في العدد والطبائع عن الثانية ، من قبل ان الاولى حسية والثانية عقلية يتحقق وجودها في العقل لا في الطبيعة . وتكون الخوة الثالثة بمثابة تنظيم للحقائق المختلفة . وعبر الباحث عن خطواته الثلاث هذه ، فيما يخص الكليات (او ثوابت التاريخ) والجزئيات (متغيرات الشعر ، بما فيه الملحمي) بمثلث الحقائق جعل قاعدته ممثلة للحقائق الجزئية وضلعه الايمن الصاعد اشارة لعملية الانتقال من الجزئيات الى الحقائق العامة،

وضلعه الايسر النازل يشير الى طريق الهبوط من القمة الى الجزئيات كتعبير عن العلاقة بين الكليات والجزئيات • ويطرح المثلث بوضوح محصلة علمية هي ان الحقائق العامة في قمة المثلث أقل عددا من الحقائق الجزئية ، وهذا يدل على الصيغة الموجزة التي توفرها الجزئيات •

ومن هذا المنطلق كان حكم رجال العلم بان الشعر بجزئياته يمكن ان يصير اداة للتاريخ ، ومن هذا المنطلق ايضا كان حكمنا بمتغيرات الشعر وثوابت التاريخ • لكن هذه الحقائق الكلية اذا كانت اخذت ثبوتها في المسيرة الكبرى للتاريخ الانساني العام أو وتاريخ أية امة من امم الارض ، فهي ، أي الحقائق الثابتة ، تتحول في جزئيات الشعر والملحمه الى متغيرات مؤقتة ذات معطيات مختلفة وفق صورة العصر الذي تكون فيه ، ووفق أطره ايضا •

وخير من فرق بين الشعر والتاريخ هو لودفكو كاستفلترو Ludovice Castlevtro « الذي فرق بين مادة التاريخ وطبيعة الشعر، فجعل التاريخ على قسمين : المادة والقول • وفي كليهما خلاف بين الشعر والتاريخ لان مادة التاريخ ليست من اختراع عقلية المؤرخ ، بل يستمدها من مجرى امور الدنيا ، أو من ارادة الله الظاهرة والمستورة ، ولغته هي اللغة التي يستعملها الناس حين التفكير ، اما الشاعر ، فمادة شعره مأخوذة ومتخيلة من عبقرية الشاعر ، ولغته ليست هي اللغة المستعملة بين الناس في التفكير ، لان الناس لا يفكرون شعرا • على ان مادة الشعر يجب ان تكون شبيهة بمادة التاريخ ، ومحاكية لها • ولكن يجب الا تكون نفس المادة[٣٦] » « وبالجملة فأن التاريخ شيء تمثل ، اما الشعر فشيء قابل للتمثيل[٣٧] » •

والتاريخ ، كما يذكر ابو الريحان البيروني[٣٨] احداث معلومة تعد

من لدن اول سنة ماضية ، كان فيها مبعث نبي بآيات وبرهان ، او قيام ملك مسلط عظيم الشأن ، او هلاك أمة بطوفان عام مخرب ، او زلزلة او خسف مبيد او وباء مهلك ، او قحط مستأصل ، او انتقال دولة، او تبدل ملة ، او حادثة عظيمة من الايات السماوية ، والعلامات المشهورة الارضية ، التي لا تحدث الا في دهور متطاولة وأزمنة متراميه، تعرف بها الاوقات المحددة ، فلا غنى عنها في جميع الاحوال الدنياويه والدينية ، ولكل واحدة من امم المتفرقة في الاقاليم تاريخ على حدة ، تعدها من أزمنة ملوكهم وانبيائهم او دولهم ، او سبب من الاسباب » .

ويبدو من كلام البيروني ان النقط الزمانية التي كانت العرب تبتدىء بها حساب السنين كثيرة جدا[٢٩] ويذكر الطبري في هذا الصدد ان قريشا كانوا يؤرخون قبل الاسلام بعام الفيل ، وكان سائر العرب يؤرخون بأيامهم المذكورة ، كتاريخهم بيوم جبلة ، او بيوم الكلاب الاول او بيوم الكلاب الثاني[٣٠] .

فالتاريخ هنا بمعنى تسجيل حوادث امم ، ويطلق عليه « التاريخ العام » واما بمعنى الحوليات ، فهو تدوين الحوادث عاما بعام . وبمعنى الاخبار ، عندما يكون الترتيب بحسب العصور[٣١] . واما لفظ « التاريخ » فهو لفظ عربي بمعنى العهد او الحساب او التوقيت أي تحديد الوقت . واصل الكلمة السامي من (روخ) التي يلوح شبحها من كلمتي (ياروح) العبرية التي تعني القمر ، و (يروح) التي معناها الشهر[٣٢] . ولدينا في نقوش العربية الجنوبية الاله (ورخن) والظاهر انه رمز للهلال ، منها (يرح) العبرية و (يرحا) السريانية والارامية و (ارخو) او (ورخو) الاشورية ، و(ارخ) البابلية ، و (ورخ) العربية اليمنية والحبشية . ومنها جمعيا ظهر الفعل (أرخ) في العربية

العربية الفصحى ، وهو يعني حساب الايام والشهور على دورة القمر ، والاسم : التاريخ[٣٣] .

واما علم التاريخ كمصطلح من مصطلحات الثقافة العلمية ، فهو ينطبق على تدوين ضروب الحوادث الحولية ، كما ينطبق على تراجم الرجال ، لا على وصف شامل للثقافة العقلية . وقد وهم كرنكو F. Krenkow عند حديثه عن التاريخ المأثور في العصر الجاهلي ، اسماء برزت في أفق روايته : عبيد بن شرية ، وصحار العبدي ، ووهب ابن منبه مثلا ، حيث يذكر ان العرب الاقدمين ، كان ينقصهم في تدوين التاريخ قوة الملاحظة ، والنفوذ الى الحقائق[٣٤] . وفاته انهم انما كانوا يكتبون التاريخ من خلال الاسطورة او الملحمة الشعرية ، ولم يكتبوه لذاته .

ومع ذلك ، فأن الذين اعتبرهم كونكو ينقصهم الابداع ، هم في الواقع البداية الغامضة لتدوين اخبار الماضين ، وما ذكروه كان مجرد مقدمات لكتب المغازي والسير ، وان قيل عن بعض العلماء انه كان يطلع على وثائق كانت مدفونة منذ العصر الجاهلي ، وهي تؤكد البدايات او المحاولات الاولى للتدوين[٣٥] . لكن الرواية الشفوية للتاريخ ، لا يصح الصاقها بملاحم الايام[٣٦] . لان « الايام » ليست من التاريخ في شيء بل هي ادب ملحمي ، جرى تدوينه بعد تدوين المغازي والسير واخبار الماضين واساطير العربية الجنوبية ، أي اساطير اليمنيين والحميريين[٣٧] ، بدليل ان لغة هذا الادب تغاير لغة كتب المغازي والسير وسواها ، وام ما ذكره الباحثون عن وجود شروح للقصائد وغير ذلك ، فهذا شيء دخيل على اصول الروايات ، وليس من المتون ، اضيف اليها فيما بعد . لذلك جردنا الرواية منه ، وذلك عندما جمعنا وحققنا كتاب « ايام

العرب » لابي عبيدة[٣٨] .

ان التأليف في المغازي والسير ضرورة املتها طبيعة المرحلة التي عاشتها الامة ، وبالاخص بعد وفاة الرسول (ص) ، وجنوح العصر الراشد الى الافول مسرعا وبصورة غريبة ملفتة للنظر .

ولا نستبعد ما يقال من ان هذا العلم نشأ مع علم التفسير ، وانه ضرب من علم التاريخ في اوليته التدوينية ، الا انه ليس ضرورة ملحة املتها المرحلة العلمية التي كان يتجاوزها علم التفسير الذي يشبه ان يكون قلقا ساور النفوس يومئذ من مصير تؤول اليه الاجيال القادمة ، وهي تدور حول نصوصها المقدسة في اغتراب وغموض ، وان كنا نلاحظ جيدا ، ان المغازي والسير كانتا من بين وسائل المفسر وادواته في تقريب مضامين الايات والسور من اذهان الجماهير ، نظرا لما يتصل بكل آية من ظرف يفسر نزولها ، او حادثة أو خبر أو غزوة ، تقترن بها .

لذلك انفرد بعض كتاب المغازي والسير في التأليف التاريخي الخالص ، بعيدا عن مؤثرات ، المفسرين ، او اية احتياجات اخرى ، فخصصوا كتاباتهم لاغراض هذا العلم الجديد[٣٩] . ولذلك ايضا قيل عن عروة بن الزبير ، انه اول مؤلف في هذا الباب[٤٠] .

اما « ايام العرب » فلا يمكن مقارنتها بما ذكرناه ، لانها ـ بحكم تكوينها الفكري ـ تنتمي الى عوالم اخرى انما قام الاسلام ثائرا عليها . فلا يمكن الخلط بين هذين اللونين ، وان المؤلفين يخطئون عندما يتطرقون الى « الايام » بعد فراغهم او اثناء حديثهم عن السير والمغازي او التفسير والحديث والفقه . فهذا تأليف علمي اسلامي ، وذاك فكر موروث ، يتوفر فيه عنصر الشعر والادب والفن ، ولا نجد في المغازي والسير سوى التاريخ . واذا عثر على شيء فيه ، فهو لا يتخطى كونه

حلية واشتشهادا ليس غير واما تسمية المواقع التي دارت في الاسلام، ثم عرفت بعدئذ ، بمصطلح « الايام » فهو اتساع او تجوز لا نقره . لكن قد تصادفنا وقعات تحمل نفس المضامين الوثنية القديمة او القيم الشعورية وان بعضها امتد ، فأدرك العصر العباسي[٤١] .

ومبدأ الخطاء في قضية الشعر العربي وامتزاجه بالتاريخ ، هو ضياع الوثائق وانعدام التدوين . فلما نشطت اقلام الكتاب خلال القرون الهجرية الاولى ، لم نجد غير الملاحم والاخبار الادبية والاساطير والمأثورات الشعبية ، نستمد منها مادة التاريخ المزمع تدوينه . ولاجل ان يكون التدوين حقيقيا وصحيحا ، اخليا من شوائب الخيال والاسطورة والكذب ، كانت التضحية بالكثير من المأثور الشعبي ، ودخل في عدادها الشعر الجاهلي وملاحمه ، لانه يمثل نسكا وثنيا ، فسددت الضربة اليه ، وبعثرت نصوصه ، وضاع الجوهر ، فلم يبق الا البناء الخارجي غير المتماسك ، مع مدلولات أقرب الى الرمز .

وعندما يحدثنا ابن هشام ، عن علاقة الشعر بحقائق التاريخ ، نابذا الاشعار التي حملت الى ابن اسحاق برغم اعتذار الرجل ، ماضيا الى تبرير نبذها ، مستندا على آيات من الذكر الحكيم ، تؤكد كذب رواته[٤٢] ، انما هو عمل لا نثيب ابن هشام عليه اليوم ، لانه بدد موروثا شعبيا كان صالحا ليتخذ نواة دراسة في ضوء المضامين المحمولة في داخله . وان الاساطير المروية عن تلك العصور ، والشعر المصنوع فيها ، لا علاقة لهما اطلاقا بالعلم الوضعي الجديد ، والتاريخ العام او الحولي او الاخباري ، وفق ما تقدم بيانه . فهل زاد ابن اسحاق في شيء سوى نقله اختلاجات نفوس بشرية ، عبر أزمان ممتدة ، نستشف منها ، واقعا يسمو به خيال الانسان ، متجاوزا القشرة التي التصقت بها اقدام

التاريخ المشدودة الى زمان ومكان ، وحقيقة ذات حدود وابعاد • بينما تبدو الاسطورة مشدودة الى الملحمة • فلو اخذ الشعر الذي حمل الى ابن اسحاق على انه صورة لاصل ، او ظلال شاحبة لموروثات دفينة ، لكان الجانب الاسطوري فيه اكثر عطاء في مضامينه ، من وجه التاريخ المتصلب • فالمسألة بكل ما فيها ، لا تعدو ان تكون حذلقة نقدية وجهها العلماء الى ابن اسحاق ، وهو في موقف المعتذر[٤٣] وقد سبق ان بينا في موضع سابق من هذه الدراسة ، بأن هذا الموروث يجب ان يدرس لا ان يمحص •

وهكذا ننفي كل استنتاجات مرجليوث ، واعتبار الشعر اداة للتاريخ ليمضي الى استباط احداث ومشاهد تاريخية من مطولات ابي تمام والبحتري والمتنبي والشريف الرضي والتعاويذي واخرين ، وهي التي اطلق عليها العلماء اسم القصيدة القاصة Ballad ولما لم تستقم النتيجة تماما ، اعلن بانه كان ينتظر معلومات تاريخية اخطر ، لو كانت الدواوين مرتبة بحسب زمن القصائد • ولعل كلامه الاخير يعقل • لكن كون الشعر اداة للتاريخ ، فهو مالا يطاق • والاكثر جدوى في عمله هو دخوله اعماق القرن الثالث الاسلامي ، بحثا وراء القصيدة الحولية Chronicle او المؤرخة ، مثل ارجوزة ابن المعتز في الخليفة المعتضد (٣٦٣ بيتا) ورائية ابي فراس (من البحر الطويل) وتتضمن وصفا لاحداث الحمدانيين ووقائعهم مع الروم ، وارجوزة ابن عبد ربه (٥٥٠ بيتا) المنوه بها سابقا[٤٤] ان هذا النوع من الشعر التمريني لحفظ التاريخ ، لا يعد من الرواية التاريخية في شيء وهو ايضا غير محسوب على شعر الملاحم التاريخي Epicpoetry فضلا عن ذلك فهو ليس من قبيل القصص القديم[٤٥] •

وقد كانت نظرة مرجليوث الى المطولات الجاهليـة مبعثها نفس المنطلق ، كان مقياس النجاح لديه ان تكون القصيدة قاصة على حـد تعبيره : (ومن ثم فالشعر الذي يعالج التاريخ القبلي وغيره ، في احواله العاريه تلميحي اكثر منه تاريخي وقصصي • واذا ما وصلت الينـا القصيدة التي تعالج تلك الاحداث كاملة وجدناها تخلط الاحـداث التاريخية بأمور اخرى غير ذات صلة بها • ولذلك نخرج بقليل مـن الامور التاريخية من المعلقات ، وخاصة معلقة زهير التي تمـدح بعض الرجال سعيهم في اقرار السلم بين قبيلتين متحاربتين ايام داحس والغبراء، وتحملهم المغارم في سبيل ذلك • ولكن وصف معلقة زهير بأنها «قصيدة قاصة » Ballad يشوه صورتها تشويها بعيدا ، فهي تعليمية اكثر منها قصصية • ولا تختلف عن هذا الطابع الاشعار التاريخية التي تؤلف ديوان العرب(٤٦) والتخبط واضح في الكلام الوارد في هذا النص • ولم تمض مقولة الشعر والتاريخ بسلام ، دون ان تحدث اضرارا او تترك آثارا • فكان من تأثير التاريخ في الشعر كما قال بعض الباحثين(٤٧) • ان ظهر لدينا ما نسميه (تاريخ الادب) فهو من مخلفات القرن التاسع عشر وكان قرن التاريخ والروماتيكية استهلته مدام دي ستيل تلميذة روسو وموتسكييو بكتابها الذي وسمته بـ « الادب من حيث علاقته بالنظـم الاجتماعية » ثم اطرد البحث في الاعمال الادبية ، وفقا للمناهج التاريخية بدعوى ان هذه الاعمال ، وقد ولدت في الزمان ، انما تحيا في الزمان ..

لهذا كله انكر « هيدجر » ان يكون الشعر حلية تصحب الوجود الانساني ، ولا حماسة عارضة ، ولا قوة طارئة ولا تسلية مؤقتـة ، الشعر هو الاساس الذي يسند التاريخ(٤٨) • وكان دليله الى ذلك ، ما ذهب اليه « هلدرن » من ان الشعر حوار ، لان البشر انفسهم حوار ،

يستطيع كل منهم ان يخاطب الاخر بلغة الشعر الخفية . لذلك نحن نؤكد على ان الشعر غير جار مجرى الوثيقة التاريخية ، لان هذا مجال اخر يغاير المجال الاستطيقي[٤٩] . « وان البشرية تلتمس من شعر شعرائها اصواتها الخالدة التي تتجاوز حدود الزمان والمكان »[٥٠] .

---

١ ـ فن الشعر ص ٢٦ .

٢ ـ نفسه ص ٤ .

٣ ـ العقد الفريد ٤/٥٠٠ـ٥٢٧ (نشر لجنة التاليف) .

٤ ـ الذخيرة لابن بسام ص ٢٤٠ القسم الاول (طبع كلية الاداب بمصر) .

٥ ـ فن الشعر ص ٢٦ .

٦ ـ انظر تايلور ص ٥١ .

٧ ـ التركيب اللغوى ص ٨٣ .

٨ ـ انظر مقدمة ملحمة جلجامش للاستاذ طه باقر . طبع وزارة الاعلام (طبعة ثانية) وانظر مقدمة ساندرز للملحمة نفسها .

٩ ـ يقابلها في الدراما الوحدات الثلاث ، باضافة وحدة الزمن التي تنعدم في الملحمة .

١٠ـ علم الفلكلور ـ الكزاندر هجرتي كراب ص ١٨ .

١١ـ المصدر السابق نفسه .

١٢ـ نفسه .

١٣ـ علم الفلكلور ص ١٩ .

١٤ـ تاريخ العرب الادبي ص ١٨ .

١٥ـ علم الفلكلورى ص ٣٤ .

١٦ـ فن الشعر ص ٢٧ (الهامش رقم ٣) .

١٧ـ يراجع بحثنا : المنابع الثقافية الاولى في الشعر الجاهلي . مجلة الكتاب العدد (٤) سنة ١٩٧٥ هامش رقم (١) ومانقلناه عن مصطلح

ثقافة Culture والهامش رقم (٥) الذى ورد فيه بان هذا المصطلح يوازى تعبير الحضارة « التعبير الانكليـزى » : Culture ويختلف عن Civilization تراجع جميع المصادر المذكورة هناك ·

١٨ـ تراجع في سيرة هذا البطل مقدمة الملحمة للاستاذ طه باقر بنشراتها الثلاث عن وزارة الاعلام والمصادر التي اوردها كاتب المقدمة انظـر قوله : (ص ٣٠ ط · ثالثة) وكانت الوركاء تنقسم في اوائـل عصر فجر السلالات الى قسمين · وكان احد اقسامها يقال لـه « كلاّب » فكان ابوه كاهنا عليها ·

١٩ـ تراجع مقدمة المحمة بقلم ن·ك ساندرز تعريب محمد نبيل نوفـل وفاروق حافظ القاضي (دار المعارف ١٩٧٠ مصر) ·

٢٠ـ تاريخ العرب ـ فيليب حتى واخرين (ط · دار غندور · بيروت ١٩٧٤) ·

٢١ـ مجلة افاق عربية العدد (٩) سنة ١٩٧٦ مقالة بقلمنا عنوانها : البطل الاسطورى والملحمي ·

٢٢ـ مجلة افاق عربية (١) السنة ١٩٧٦ مقالة بعنوان : تراجيديا الممثل صلاح بركات (بقلم صلاح عيسى دراسة وتحقيق) ·

٢٣ـ مابين القوسين من اضافاتنا ·

٢٤ـ منطق البحث العلمي · د · ياسين خليل (ص ١٤) طبعة بيروت ١٩٧٤ ·

٢٥ـ المصدر نفسه (ص ١٥) ·

٢٦ـ مقدمة فن الشعر بقلم الدكتور عبدالرحمن بدوى ص ١٦ـ١٧ ·

٢٧ـ نفسه ص ١٨ ·

٢٨ـ الاثار الباقية ص ١٢ ·

٢٩ـ دائرة المعارف الاسلامية · مادة (زمان) ١٠/٣٧٤ ·

٣٠ـ تاريخ الرسل والملوك ١/٢٠١ ·

٣١ـ دائرة المعارف الاسلامية ٤/٤٦٩ ·

٣٢ـ نفسه ٤/٤٧٣ ·

٣٣ـ الساميون ولغاتهم ص ١٣٩ · وتراجع مقالة في مجلة افاق عربيـة

بعنوان النظرة السنية للتاريخ بقلم محمد عطار الله العدد (٥) سنة ١٩٧٦ وفيها تفصيل واف لذمة التاريخ ٠

٣٤ـ دائرة المعارف الاسلامية ٠ مادة (تاريخ) ٤/٣٨٣ ٠

٣٥ـ دراسات عن المؤرخين العرب ـ مرجليوث (ص ٧١) ومابعدها وانظر ايضا نشاة التدوين التاريخي عند العرب (ص ٥) ومابعدها ٠ وانظر دائرة المعارف الاسلامية مادة (تاريخ ٤/٤٨٤ ـ ٤٨٦ وكان ابن الكلبي قد زعم بانه يستخرج اخباره من اديرة الحيرة ، وكذلك الروايه المنسوبة الى حماد الراوية بان الملك النعمان أمر ، فنسخت الاشعار التي مدح بها هو واهل بيته فوضعت في طنوج ـ كراريس ـ ودفنت تحت قصره الابيض ، فلما مر المختار بن عبيد ، قيل له : ان تحت القصر كنزا من الكتب فاحتفر فأخرجها ٠ (انظر الخصائص لابن جني (طبعة دار الكتب) ١/٣٩٢ ومعجم البلدان لياقوت (القصر الابيض) وانظر في الخبر الاول ، الطبرى (٢/٣٧ ط ٠ مصر) ١/٧٧٠ (بريل) قال هشام : كنت استخرج اخبار العرب وانساب نصر بن ربيعة ، ومبالغ اعمار من عمل منهم لال كسرى ، وتاريخ سنيهم من بيع الحيرة ، وفيها ملكهم وامورهم كلها ٠

٣٦ـ نشأة التدوين التاريخي عند العرب ص ٥ وعبارته بنصها « لكن العرب ، على الرغم من ذلك ، عرفت نوعا من التاريخ الشفهي ، فقد كانت القبائل تروى أيامها : حروبها وانتصارها ، لتفخر بها على القبائل » ٠

٣٧ـ يتحدث مرجليوث في كتابه : دراسات عن المؤرخين العرب ص ٧١ عن قصائد سجلت فيها الوان الكفاح بين الاوس والخزرج قبل مجيء النبي (ص) فلما جاء الاسلام حرم انشادها ٠ وايام القبيلتين مدونة في الاغاني والطبرى وابن الاثير ، وطرف منها في دواوين شعرائهم ، مثل قيس بن الخطيم وحسان ، وبعضها في المفضليات وكتب اخرى ٠

٣٨ـ صدر القسم الاول منه بجزئين الاول منه بعنوان : الملاحم العربية ٠ والثاني : الجزء الاول من كتاب الايام ٠

٣٩ـ الطبرى ـ تاريخ ١/١١٨٠ـ١٢٨٤ـ١٦٣٤ (بريل) ٠

٤٠ـ كان عروة بن الزبير معاصرا لابان بن عثمان (١٠٥ هـ) وأبان عالم بالحديث والفقه ، وصاحب المجموعة المفقودة في مغازى الرسول ٠ وقد توفي عروة في (٩٤ هـ) وكان يدون أخباره ولايقتصر على الرواية

الشفوية . وقد استعار الخليفة الاموى عبدالملك بعض الواحة منه (واخبرنا الواقدى والطبرى نقلا عن ابن اسحاق ببعض هذه الالواح . للاستزادة انظر . حسين نصار ـ نشأة التدوين ص ٢٩ ، وانظر ايضا حاجي خليفة ـ كشف الظنون ٦٤٦/٥ .

٤١ـ انظر يوم سحبل في الاغاني ١٤١/١١ وشرح الحماسة ٥٦/١ (التبريزى) ومعاهد التنصيص ٤٣/١ ، ومعجم البلدان ٤٣/٥ .

٤٢ـ السيرة النبوية ٤/١ .

٤٣ـ توجد انتقادات اخرى موجهة الى ابن اسحاق لدى ابن سلام في طبقات الشعراء ص ٨ـ٩ .

٤٤ـ دراسات عن المؤرخين العرب ص ٧٦ .

٤٥ـ هذه التسمية تطلق على هذا النوع من القصص تمييزا له عن الاسطورة فالقصص حوادث تاريخية قد تكون محرفة او مشوهة . اما الاساطير ـ وتدخل الملاحم ضمن هذا الكلام ـ فهي تفسير لظاهرة انسانية او كونية ، وصراع البشرية ضد انواع التحديات المنبعثة من الحياة والموت والخلود ، وقد عرفنا بعض ذلك عن طريق ملحمة جلجامش وقصة الانوما اليش والطوفان وهي معالجة مباشرة للقضية الكبرى : قضية الموت والخلود ، وربما كانت بصورة غير مباشرة كالذى نجده في ملاحم الايام العربية .

٤٦ـ دراسات عن المؤرخين العرب ص ٧٥ .

٤٧ـ التركيب اللغوى ٩٣ .

٤٨ـ المصدر السابق وانظر مارتن هيدجر في الفلسفة والشعر للدكتور عثمان امين ص ٩٥ .

٤٩ـ التركيب اللغوى ص ١ .

٥٠ـ المصدر السابق ص ٨٣ .

مصادر البحث « مرتبة بحسب تسلسل ورودها فيه »

١ـ فن الشعر لارسطوطاليس ، ترجمة الدكتور عبدالرحمن بدوى (مطبعة النهضة المصرية بالقاهرة ١٩٥٣) ٠

٢ ـ العقد الفريد لابن عبد ربه (نشر لجنة التأليف) ٠

٣ ـ الذخيرة لابن بسام ـ القسم الاول ـ طبع كلية الاداب بمصر ٠

٤ ـ شعر الايام الجاهلية ـ دراسة بقلم كاتب المقالة ـ مطبوعة بالرونيو (جزء من دراسة شاملة لملاحم الايام العربية) وقد نشرت في دار الجاحظ بغداد ١٩٧٦ ٠

٥ ـ ايام العرب ـ لابي عبيدة معمر بن المثنى (٢٠٩ هـ) صنعة الدكتور عادل البياتي نشر دار الجاحظ بغداد ١٩٧٦ ٠ وتراجع مخطوطة الكتاب بالرونيو ٠

٦ ـ تايلور ـ للدكتور احمد ابو زيد (دار المعارف بمصر ١٩٥٧) ٠

٧ ـ التركيب اللغوى ـ للدكتور لطفي عبد البديع ـ القاهرة ـ مطبعة النهضة ١٩٦٩ ٠

٨ ـ ملحمة جلجامش ـ مع مقدمة للاستاذ طه باقر ـ نشرة ثانية لوزارة الاعلام العراقية ٠

٩ ـ منطق البحث العلمي ٠ د ٠ ياسين خليل بيروت ١٩٧٤ ٠

١٠ـ ملحمة جلجامش ـ نشر وزارة الاعلام العراقية ٠ ثلاث طبعات بعناية الاستاذ طه باقر ٠

١١ـ مجلة افاق عربية الاعدادا (١) ، (٥) ، (٩) بغداد ١٩٧٦ ٠

١٢ـ مجلة الكتاب العدد (٤) السنة ١٩٧٥ بغداد ٠

١٣ـ ملحمة جلجامش ـ مع مقدمة بقلم ن ٠ ك ٠ ساندرز ـ ترجمة نبيل نوفل وفاروق حافظ القاضي (طبع دار المعارف بمصر ١٩٧٠) ٠

١٤ـ علم الفلكلور ـ الكزاندر هجرتي ـ ترجمة رشدى صالح ٠ طبع وزارة الثقافة بمصر ١٩٦٧ ٠

١٥ـ تاريخ العرب الادبي ـ البروفسور رينولد نكلسن ـ ترجمة الدكتور صفاء خلوصي بغداد ١٩٧٠ ٠

١٦ـ الاثار الباقية لابي الريحان البيروني ٠ طبع ليبزك ١٩٢٣ ٠

١٨ـ الخصائص لابن جنى (طبعة دار الكتب المصرية) ٠

١٩ـ الساميون ولغاتهم للدكتور حسن ظاظا طبع دار المعارف بمصر ١٩٧١ ٠

٢٠ـ معجم البلدان لياقوت الحموى ٠ طبع السعادة ١٩٠٦ ٠

٢١ـ تاريخ الرسل والملوك للطبرى ـ طبعة مصر وبريل ٠

٢٢ـ دراسات عن المؤرخين العرب ـ مرجليوث ـ ترجمة الدكتور حسين نصار ٠ طبع بيروت ٠

٢٣ـ نشأة التدوين عند العرب ـ للدكتور حسين نصار ـ طبع مصر ٠

٢٤ـ كشف الظنون ـ حاجي خليفة ، مصطفى بن عبدالله ٠ طبع الاستانة ١٣١١ ٠

٢٥ـ السيرة النبوية ـ لمحمد بن هشام ـ طبع الحلبي ١٩٥٥ ٠

٢٦ـ الاغاني لابي فرج الاصفهاني (دار الكتب المصرية) ٠

٢٧ـ شرح ديوان الحماسة للتبريزي ابو زكريا يحيى بن علي ٠ طبع السعادة ١٢٤٦ ٠

٢٨ـ طبقات الشعراء لمحمد بن سلام بن عبدالله الجمحي ٠ طبع السعادة٠

٢٩ـ هيدجر في الفلسفة والشعر ـ للدكتور عثمان امين ـ طبع القاهرة ٠